منطقة الحيرة

دراسة طوبوغرافية مستندة على المصادر الادبية

الدكتور صالح أحمد العلي

لمنطقة الحيرة أهميـة كبيرة فى تاريخ العراق وتاريخ العرب ، فان الحيرة كانت قاعدة دولة المناذرة التي لعبت دورا مهماً في السيطرة علـى أطراف العـراق وضبط حـدوده ، وبسط النفوذ على كثـير من عشائر الجزيرة العربيـة وأراضيها ؛ فضلا عن معاونـة أمراءها الساسانيين في حروبهم مع الروم • يضاف الى ذلك انها كانت تقوم بحراسة القوافل ونقل التجارات • وقد تطلب كل ذلك منها أن تكون ذات قوة عسكرية كافيـة وادارة محكمة ونظم راقية نسبياً ، والواقع ان ادارة دولة المناذرة الذيـن كانت عاصمتهم الحيرة ، تقدم انموذجا مهماً عن ادارة الساسانيين وعلاقتهم بالامراء المحليين ، وهى بلا ريب أوسع صورة يمكن أن نحصل عليها من ادارة أى أمير آخر فى العصر الساسانى •

ثم ان للحيرة قبل الاسلام حضارة خاصة بها لدينا عنها تفاصيل طيبة نسبيا ، وربما كانت أوسع من التفاصيل التى عن أية دولة عربية أخرى قبل الاسلام ، ما عدا مكة ، وقد وصفها المرحوم يوسف غنيمة فى كتابه عن الحيرة بتفصيل واف • ولعل وفرة هذه التفاصيل راجعة الى بقاء الوثائق المتعلقة بتاريخ الكوفة فى العصر الاسلامى حيث استفاد منها الرواة وخاصة هشام ابن الكلبى ، كما أن معظم القبائل والعشائر ذات الصلة بالمناذرة استقرت بالكوفة ، فاحتفظت وروت أخبار علاقتها مع المناذرة • يضاف الى ذلك ان الحيرة كانت مركزا مهما للنصارى ، ففيها أنشئت أديرة كثيرة ومراكز لترجمة العلم •

وقد لعبت الحيرة في تاريخ الاسلام دورا كبيرا ، فان موقف أهل الحيرة الودى من الفتح الاسلامى ضمن لها مكانة طيبة فى الدولة ، كما أن خبرات أهلها التجارية أتاح لها مجالا واسعا للاستفادة المادية من الفتوح الاسلامية ، ثم أن كونها مركزا مسيحيا قرب الكوفة أتاح لها أن تكون من مراكز اللهو والتحرر لأهل الكوفة ، وان يقصدها الكثير من الزوار •

وبالرغم من هذه الاهمية فلم تجر عنها دراسات كافية ، ولم تجر الا حفريات قليلة فى مناطق محدودة ، قام بها رايس سنة ١٩٣٢ ، والمتحف العراقى فى سنة ١٩٥٠ ونشرت عن ذلك مقالات حول الاماكن المحدودة التى جرت الحفريات فيها • أما دراسة الواموزيل التى دونها فى كتابه عن الفرات الاوسط فمع ثروتها الهائلة من المعلومات ، الا أن منطقة الحيرة لم تحض بالاستيعاب الكامل •

وسنحاول فى مقالنا هذا تقديم وصف طوبوغرافى للاماكن التى ورد ذكرها فى المصادر العربية الادبية والتاريخية والجغرافية فى العصور الاسلامية الاولى محاولين تحديد كل مكان ، وسنقصر بحثنا على المنطقة الممتدة بين العذيب والكوفة ، فندخل فى هذا الوصف منطقة القادسية والنجف أيضا ، دون أن نشمل بحثنا الكوفة التى سنخصص لها بحثا خاصا ، وسنبدأ بحثنا من العذيب التى تقع على الطرف الغربى من حدود العراق ، ثم نتقدم فى الوصف شرقا •

العذيب والقادسية :

وفى الطرف الغربى من القادسية يقع العذيب ، « وهو ماء بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية أربعة أميال والى المغيثة اثنين وثلاثين ميلا ، وقيل هو حد السواد »(١) ويروى الطبرى ان عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن ابى وقاص عندما أرسله الى القادسية « اذا كان يوم كذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس(٢) » ويرى ياقوت فى هذا النص ان هناك عذيبان ، الهجانات والقوادس(٣) ، غير أنه يمكن القول بأن العذيب واد ينسب شرقيه الى القوادس ، وغربيه الى الهجانات ، وقد ذكر السكونى ان « العذيب يخرج من قادسية الكوفة اليه »(٤) ويصفه ابن جبير بأنه « واد خصيب وعليه بناء وحوله فلاة خصيبة فيها مسرح للعيون وفرجة ، وأعلمنا أن بمقربة منه بارقا ، ووصلنا منه الى الرحبة وهى بمقربة منه(٢) » .

كانت المنطقة الواقعة بين العذيب والقادسية عند ظهور الاسلام مجدبة ليس فيها غير نخلة واحدة ، دفن عندها قتلى المسلمين فى القادسية(٦) ، غير أنها ازدرعت فيما بعد ، فكان بها فى زمن المسعودى نخل كثير(٧) « بينها

---

(١) ياقوت الحموى . معجم البلدان ج ٣ ص ٦٢٦ طبعة ليدن . ويروى ياقوت عن العمرانى ان من العذيب الى القادسية ستة أميال (ياقوت ج ٤ ص ٣٥٩) ويذكر الازهرى ان العذيب على مرحلة من الكوفة (لسان العرب ج ٢ ص ٧٥) انظر أيضا ج ٨ ص ٥٢ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك I ص ٢٢٢٤ طبعة ليدن .

(٣) ياقوت ج ٣ ص ٦٢٦ . ويرى الواموزيل ان عذيب الهجانات هو المكان الذى يسمى ، عندما زار المنطقة سنة ١٩١٥ ، عين السيد ، اما عذيب القوادس فهو عين النجارية A. Musil. Middle Euphrates PIII

(٤) ياقوت ج ٣ ص ٦٢٦ .

(٥) ابن جبير : الرحله ص ١٩٦ طبعة حسين نصار .

(٦) الطبرى I ص ٢٣١٧ .

(٧) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٦ .

وبين القادسية حايطان متصلان بينهما نحل وهى ستة أميال فاذا خرجت منه دخلت البادية ثم المغيثة[٨] » وهى على طريق الحج ، وقد مر منها عدد غير قليل[٩] .

لقد كانت العذيب للمناذرة حيث كان بها هجائن النعمان ترعى هناك[١٠] وكانت عند الفتح الاسلامى مسلحة للفرس[١١] ، وقد وجد فيها المسلمون رماحا ونشابا[١٢] ، وقد كان فيها قصر اتخذه سعد مقرا له يشرف منه على معركة القادسية[١٣] ، وقد وضع فى هذا القصر النساء وعين لها مفرزة من الخيالة تحميها[١٤] .

وبين العذيب والقادسية عين شمس[١٥] وهو ماء ، يجرى بينه وبين العذيب وادى مشرق[١٦] دفن فيه عدد من شهداء القادسية[١٧] ، وفى شرقى العذيب الاقيلبة فقد روى ياقوت « وفى كتاب الفتوح ولما نزل سعد بالقادسية أنزل بكر بن وائل القلب وهى تدعى الاقيلبة فاحتفروا بها القلب بين العذيب وبين مطلع الشمس[١٨] .

تتجلى الاماكن الواقعة بين العذيب والقادسية من وصف تقدم جيش سعد ، حيث كانت تتقدمه طليعة بقيادة زهرة بن حويه « فقدم زهرة سعد حتى عسكر

---

(٨) ابن رسته · الاعلاق النفيسه ص ١٧٥ ياقوت ج ٣ ص ٦٢٦ ·
(٩) انظر طبرى II ص ٣٠٥ ، ١٠٧٢ ، ١٣٨٠ ، ١٦٧٧ III ص ٤٥٦ ياقوت ج ٣ ص ٦٢٦ ·
(١٠) طبرى II ٣٠٢ ·
(١١) طبرى I ٢٢٣١ ياقوت ج ٣ ص ٦٢٦ ·
(١٢) طبرى I ٢٢٣٢ ·
(١٣) طبرى I ٢٣٥١ المسعودى · مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٣ ·
(١٤) طبرى I ٢٢٣٢ ·
(١٥) ياقوت ج ٣ ص ٧٦٣ ·
(١٦) ياقوت ج ٤ ص ٥٣٩ ·
(١٧) الطبرى I ص ٢٣٠٤ ، ٢٣١٧ ، ٢٣٣٨ ياقوت ج ٤ ص ٥٣٩ ·
(١٨) ياقوت ج ١ ص ٣٤١ ·

بعذيب الهجانات، ثم خرج في اثره حتى ينزل على زهرة بعد وقدمه فنزل زهرة القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة يومئذ أسفل منها بميل » ثم « نزل سعد القادسية فنزل بقديس ونزل زهرة بحيال قنطرة العتيق فى موضع القادسية اليوم »[١٩] .

يتبين من هذا ان قديس هى بين العذيب والمكان الذى صار يطلق عليه فيما بعد القادسية ، وانها على بعد ميل من القادسية ، وهى مائلة الى الجنوب حيث يروى الطبرى ان رستم تقدم الى القادسية « ثم قدم ذا الحاجب فلما انتهى الى العتيق، ياسر حتى اذا كان بحيال قديس خندق خندقا »[٢٠] ويبدو ان المعركة نشبت بين قادس والعتيق « كان صف المشركين على شفير العتيق ، وكان صف المسلمين مع حائط قديس ، الخندق من ورائهم ، فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق[٢١] ، « وطبقت القتلى ما بين قديس والعتيق »[٢٢] « ودافن شهداء ليلة الهرير من ليالى القادسية وقتلى يوم القادسية وهى آخر أيام القادسية حول قديس من وراء العتيق وكانوا ٢٥٠٠ بحيال مشرق[٢٣] والعتيق هو مجرى جاف للفرات حيث كان يجرى فيه قبل الاسلام[٢٤] .

ان الخندق الذى يتردد ذكره فى أخبار معركة القادسية هو خندق القادسية[٢٥] ، ولما « كان صف المسلمين مع حائط قديس : الخندق من وراءهم[٢٦] » فيكون الخندق غربى قديس والواقع ان مكان القادسية التى

---

(١٩) طبرى I ٢٢٣٣ ياقوت ج ٤ ص ٤٢ ـ ٣ .
(٢٠) الطبرى I ٢٢٦٥ .
(٢١) طبرى I ٢٢٩٤ ، ٢٢٨٨ .
(٢٢) طبرى I ٢٣٣٨ .
(٢٣) ياقوت ج ٤ ص ٥٣٩ .
(٢٤) مروج الذهب ج ١ ص ١٠٣ .
(٢٥) طبرى I ٢٥٤٣ .
(٢٦) طبرى I ٢٢٩٤ .

معركة «بين العتيق والخندق»[٢٧] أما العتيق فنظرا لان الفرس ... طفة فيه في القادسية[٢٨] فمعنى دلك انه كان شرقي القادسية ويبدو ... ه كان مجرى نهر ، لانه « لما أراد رستم العبور أمر بسكر العتيق بحيال ... قادس وهو يومئذ اسفل منها اليوم مما يلي عين شمس ، فباتوا ليلتهم حتى الصباح يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقا واستتم بعد ما ارتفع النهار »[٢٩] .

لقد أورد الطبري نصا يصف فيه منطقة القادسية ، فان عمر « كتب اليه سعد بصفة البلدان : القادسية بين الخندق والعتيق ، وان ما على يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح الى الحيرة بين طريقين ، فأما أحدهما فعلى الظهر ، وأما الآخر فعلى شاطىء نهر يدعى الخصوص يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة ، وان ما عن يمين القادسية الى الولجه فيض من فيوض مياههم »[٣٠] .

وقد وصف بعض جغرافيي العرب القادسية فيقول الاصطخرى « القادسية على شفير البادية وهي مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه وزروع ليس بالعراق بعدها ماء جار ولا شجر »[٣١] . ويقول المقدسى « والقادسية مدينة على سيف البادية تعمر أيام الحاج ويحمل اليها كل خير لها بابان وحصن طين وقد شق لهم نهر من الفرات الى حوض على باب بغداد وثم عيون غربيه ، وماء آخر يجرونه عند باب البادية أيام الحاج وهي سوق واحد الجامع فيه »[٣٢] ويقول ابن جبير « القادسية قرية كبيرة فيها حدائق

---

(٢٧) طبرى I ٢٢٣٠ ، ٢٢٣٨ ، ٢٢٤٩ ، ٢٢٢٩ ياقوت ج ٤ ص ٨ .
(٢٨) طبرى I ٢٢٩٤ .
(٢٩) طبرى I ص ٢٢٨٦ .
(٣٠) طبرى I ٢٢٢٩ ياقوت ج ٤ ص ٨ .
(٣١) الاصطخرى . المسالك ص ٨٣ .
(٣٢) المقدسى . أحسن التقاسيم ص ١١٧ .

من النخيل »[٣٣] .

ويقول الاصطخرى « والقادسية والحيرة والخورنق هى على طرف البادية مما يلى المغرب ويحيط بها مما يلى المشرق النخيل والانهار والزروع وهما والكوفة فى أقل من مرحلة »[٣٤].

وتذكر بعض المصادر ان « من الكوفة الى القادسية مرحلة » [٣٥] كما تذكر مصادر أخرى « من الكوفة ... خمسة عشر ميلا ، ثم الى العذيب طرف البادية ستة أميال

ان الخصوص الذى ذكر فى وصف سعد للقادسية هو نهر كان بين الحيرة والقادسية [٣٧] ، وهو شمال القادسية ، ويبدو انه كان منطقة عامرة ، ومركزا صناعيا ، فيروى ياقوت انه تنسب اليه الدنان فيقال دن خصي » [٣٨] .

لقد ذكرت المصادر بعض الاماكن قرب القادسية دون أن تحدد مواقعها : كالرقراقة وهى ماءة قرب القادسية نزلها جيش امام القادسية[٣٩]، وخريم الذى يصفه نصر انه ماء قرب القادسية [٤٠] ، والقرة وهى قرية من القادسية [٤١] ؛ والصوأر وهو « على أربعة أميال من القادسية عرضا

(٣٣) ابن جبير : الرحلة ص ١٩٧ طبعة حسين نصار .
(٣٤) الاصطخرى ص ٨٢ . ويرى موزيل (ص ١٠٩ فما بعد) ان القادسية مكانها غدير المقصورة وهو فرع من شعيب الحسب وقد وصف منطقتها بالتفصيل .
(٣٥) الاصطخرى ص ٧٩ المقدسى ص ١٣٤ .
(٣٦) ابن خرداذبه . المسالك والممالك ص ١٢٥ . قدامه : كتاب الخراج ص ١٨٥ ابن رسته ص ١٧٥ .
(٣٧) ياقوت ج ٢ ص ٢٨٩ ج ٤ ص ٨ .
(٣٨) ياقوت ج ٢ ص ٤٤٩ . الفيروز ابادى . القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٠١ . ويذكر موزيل ان بقايا الخضوض لا تزال موجودة (ص ١١١) .
(٣٩) ياقوت ج ٢ ص ٨٠٠ ج ٤ ص ١٨١ .
(٤٠) ياقوت ج ٢ ص ٤٣١ .
(٤١) ياقوت ج ٤ ص ٧٦ .

فى البر »[٤٢] .

والرحبة وهى « قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج اذا أرادوا مكة وقد خربت الان بكثرة طروق العرب لانها فى ضفة البر ليس بعدها عمارة ، وقال السكونى ومن اراد الغرب دون المغيثة خرج على : طف الحجاز فأولها عين الرحبة وهى من القادسية على ثلاثة أميال ثم »[٤٣] ، وبين خفان والقادسية ستة أميال[٤٤] .

أما الاماكن القادسية فنجد أبرزها مذكورة فى وصف حركات تقدم الجيس ... نى نحو ميدان فى القادسية ؛ فيروى الطبرى أن رستم خرج « ونزل بحيال دير الاعور ، ثم انصب الى الملطاط ، فعسكر مما يلى الفرات بحيال أهل النجف ، بحيال الخورنق الى الغريين[٤٥] ثم « أمر الجالنوس ان يسير من النجف ، فسار فى المقدمات فنزل فيما بين النجف والسيلحين ، وارتحل رستم فنزل النجف[٤٦] « ورأى رستم أن ينزل من العتيق والنجف »[٤٧] « فاذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذى الحاجب ، فارتحل الجالينوس ، فنزل ذو الحاجب منزله ، والجالنوس يريد طيزناباد فنزل بها »[٤٨] « فلما أصبح رستم من الغد من يوم نزل السيلحين قدم الجالنوس وذا الحاجب ، فارتحل الجالنوس فنزل من دون القنطرة .. ونزل ذو الحاجب منزله بطيزناباد ، ونزل رستم منزل ذى الحاجب بالخرارة ، ثم قدم ذا الحاجب ، فلما

---

(٤٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٢٥ .

(٤٣) ياقوت ج ٢ ص ٧٦٢ وقد اورد موزيل نصوصا عنها وحاول تحقيق موضعها والاماكن المجاورة الاخرى (ص ١١٠ فما بعد) وقد تجنبنا الدخول فى تفاصيل هذه المنطقة لانها خارج نطاق دراستنا .

(٤٤) المسعودى : التنبيه ص ٣٣٨ .

(٤٥) طبرى I ٢٢٥٥ .

(٤٦) طبرى I ٢٢٥٦ .

(٤٧) طبرى I ٢٢٥٧ .

(٤٨) طبرى I ٢٢٦٤ .

انتهى الى العتيق تياسر حتى اذا كان بحيال قديس خندق خندقا ، وارتحل الجالنوس فنزل عليه .. فلما انتهى رستم الى العتيق وقف عليه بحيال عسكر سعد .. ثم صعد القنطرة [٤٩] .

يتبين من الوصف المتقدم أعلاه ان محطات الجيش الساساني هي من الشرق الى الغرب : دير الاعور ـ الملطاط (عند النجف والخورنق والغريين ـ السيلحين ـ الخرارة ـ طيزناباد)

فأما طيزناباد فيروى البلاذري انها كانت تدعى ضيزناباد نسبة الى الضيزن بن معاوية بن عمر بن عبيد السليحي ، ثم حرفت الى طيزناباد [٥٠] وهي « بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج ، وبينها وبين القادسية ميل [٥١] ، ويقول المسعودي انها « قرية بين الكوفة والقادسية ذات كروم واشجار ونخل ورياض تخرقها الانهار من كل العقاب عن الفرات ، شرابها موصوف بالجود كوصف القطربلي » [٥٢] غير انها خربت فيما بعد كما يدل على ذلك قول ياقوت انها « كانت من انزه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر ، وكانت أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة ، وهو الآن خراب لم يبق به الا اثر قباب يسمونها قباب أبي نواس ، ولاهل الخلاعة فيه أخبار يطول ذكرها » [٥٣] .

---

(٤٩) طبري I ٢٢٦٥ . البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٥٥ .

(٥٠) فتوح البلدان ص ٢٨٤ ياقوت ج ٣ ص ٥٦٩ . ويجدر بنا ان نذكر احتمالات اخرى لتسمية طيزناباد فيقول ابن منظور « الضيزنان صنمان للمنذر الاكبر كان اتخذهما بباب الحيرة ليسجد لهما من دخل الحيرة امتحانا للطاعة ، والضيزن الذي يسميه اهل العراق البندار يكون مع عامل الخراج » (لسان العرب ج ١٧ ص ١٢٣) فلعل أصل هذا المكان مدخل الحيرة ، وفيه أصنام ، وفيه مركز جباية الضرائب .

(٥١) ياقوت ج ٣ ص ٥٦٩ ويرى ابراهيم حلمي انها هي الطعيزيات الواقعة على ٦ أميال من ابي صخير انظر لغة العرب ج ٢ ص ٣٢١ ـ ٦ .

(٥٢) مروج الذهب ج ٦ ص ٣٠٥ .

(٥٣) ياقوت ج ٣ ص ٥٧٠ .

وقد أقطع عثمان طيزناباذ الاشعث بن قيس الكندى[٥٤] ، وكان لابنه محمد فيها قصر مما يلى القادسية [٥٥] أمر المختار بهدمه [٥٦] .

وفى طيزناباد كان دير سرجس وبكس وهو منسوب الى راهبين وكان هذا الدير بطيزناباد بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق ، وبينهما وبين القادسية ميل ، وكانت ارضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر ، وكانت أحد البقاع المقصودة والنزه الموصوفة، وقد خربت الآن وبطلت وعفت اثارها وتهدمت ابارها ، ولم يبق من جميع رسومها الا قباب خراب وحجر على قارعة الطريق ، تسميه الناس معصرة أبى نواس[٥٧] » وكان هذا الدير من أحسن الديارات عمارة وأنزهها موضعا [٥٨] » .

ويروى ياقوت عن الشابشتى أن دير الزرنوق كان يسمى باسم دير بطيز ناباذ بين الكوفة والقادسية على وجه الطريق بينه وبين القادسية ميل[٥٩]. ويقول البكرى انها موضع دون القادسية[٦٠] أما الخرارة التى تقع بين طيز ناباذ والسيلحين فليس فى الكتب عنها سوى ما رواه ياقوت انها قرب السيلحون من نواحى الكوفة [٦١] .

---

(٥٤) طبرى I ٢٨٥٥ فتوح البلدان ص ٢٧٤ ياقوت ج ٣ ص ٥٦٩ .
(٥٥) طبرى II ص ٦٨٠ البلاذرى : انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٤١ .
(٥٦) طبرى II ص ٧١٨ .
(٥٧) الشابشتى : كتاب الديارات ص ١٥٠ ياقوت ج ٢ ص ٦٦٧ (ويسميها قباب ابى نواس ابن فضل‌الله العمرى : مسالك الابصار ج ١ ص ٢٨٤ .
(٥٨) الشابشتى ص ١٥١ .
(٥٩) ياقوت ج ٢ ص ٦٦٣ .
(٦٠) البكرى . معجم ما استعجم ص ٤٩٣ طبع مصطفى السقا .
(٦١) ياقوت ج ٢ ص ٤٠٩ .

أما السيلحون فهو أحد طساسيج البهقباذ الاسفل[٦٢] ، أما الطساسيج الاخرى فهى الكوفة ، وفرات بادقلى ، والحيرة ، ونستر ، وهرمز جرد[٦٣] « وطسوج السيلحين وفيه الخورنق وطيزناباد ، وبيادره أربع وثلاثون بيدرا الحنطة ألف كر ، الشعير ألف وسبعمائة كر ، الورق مائة ألف وأربعون ألف[٦٤] . وكان في السيلحون نهر السيلحون وهو يجرى من الفرات[٦٥]، وكانت فيه أحد » مسالح كسرى[٦٦] .

وبقرب السيلحين تقع الصنين[٦٧] « وهو بلد كان بظاهر الكوفة ، كان من منازل المنذر ، وبه مزارع باعه عثمان بن عفان من طلحة بن عبيدالله وكتب له كتابا مشهورا مذكورا عند المحدثين وجدت نسخته سقيمة فلم أنقله » [٦٨] .

ونهر السيلحين قريب من مجتمع الانهر فيروى الطبرى انه عندما تقدم المصعب بن لازبير الى الكوفة « ولما بلغ المختار انهم قد أقبلوا اليه في البحر وعلى الظهر سار حتى نزل بهم السيلحين ونظر الى مجتمع الانهار نهر الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية ونهر برسف (يوسف ؟) فسكر الفرات على مجتمع الانهار فذهب ماء الفرات كله فى هذه الانهار وبقيت سفن أهل البصرة فى الطين »[٦٩] .

---

(٦٢) ياقوت ج ١ ص ٢٤١ .
(٦٣) ياقوت ج ١ ص ٧٧٠ .
(٦٤) خرداذبه ص ١٢ قدامه كتاب الخراج ص ٢٣٧ .
(٦٥) البلاذرى : انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٥٨ .
(٦٦) ياقوت ج ٣ ص ٢١٨ .
(٦٧) طبرى I ٢٢٣٢ .
(٦٨) ياقوت ج ٣ ص ٤١٣ .
(٦٩) طبرى II ص ٧٢٥ .

الحيرة تبعد ثلاثة اميال عن الكوفة ، على موضع يقال له النجف[1] ، يرويها نهر كافر[2] وهو يسمى نهر الحيرة[3] .

تروى بعض المصادر انه كان فيها من جميع القبائل : من مذحج ، وحمير ، وطي ، وكلب ، وتميم[4] . ومع ان بعض هذه القبائل قـديم سكناها فى الحيرة ، الا ان بعضها استوطن الحيرة بعد الفتح الاسلامى أو ازدادوا فيها بعد الفتح على الاقل .

وقد ذكر النسابون من القبائل التى استوطنت الحيرة بنو عوف بن أبى سلمى[5] ، وبنو عمار بن عبدالمسيح بن قيس بن حرملة[6] أصحاب قصر العدسيين ، وهما من كلب ، وجفنه وهم بطن من بنى عوف بن عمرة بن ربيعة بن حارثة الخزاعيين[7] ، وبنو زمـان بن تيم الله بن جفال[8] ، وبنو سنيد ومره اولاد زيد بن سعد بن عدى بن نمر ويقال لهم بنو مطر ، ومنهم بقيلة صاحب قصر بنى بقيلة ، وبنو هند من بنى زيدالله بن عمرو بن مازن ، وهـم من الازد[9] . وبنو الساطع وهـم بنو عـدى بن عمره بن

(١) اليعقوبى . البلدان ص ٣٠٩ ابن رسته ص ٣٠٩ ياقوت ج ٢ ص ٣٧٥ ويروى الاصطخرى (ص ٨٢) ان بينها وبين الـكوفة فرسخ ، وهى رواية غير دقيقة ، او انه قدر المسافة من أبعد نقطتين بين الـكوفة والحيرة . ويرى موزيل ان مركز الحيرة يبعد ٥ كيلو مترات عن الـكوفة والخورنق ، وعشرة كيلومترات عن النجف (ص ١٠) .

(٢) البكرى ص ١١١٠ الاغانى ج ٢ ص ١٣٤ .

(٣) ابن سعد . كتاب الطبقات ج ٦ ص ١٤٥ انساب الاشراف ج ٥ ص ٢١٧ طبرى II ص ٧٢٥ .

(٤) ياقوت ج ٢ ص ٣٧٨ .

(٥) ابن الـكلبى . كتاب النسب ص ٤٢٣ مخطوطة الاسكوريال .

(٦) ابن الـكلبى ص ٤٢٤ .

(٧) ابن الـكلبى ص ٣١٠ .

(٨) ابن الـكلبى ص ٣٢١ .

(٩) ابن الـكلبى ص ٣٢٣ .

كنانة[١٠] ، وبنو عدى بن الرميل بن لوب بن اسس اصحاب بيعة عدى وهم من لخم[١١] ، والحمرات من بنى اراش بن حرملة بن لخم[١٢] ، وبنو سمينة الطائيين[١٣] ، وبنو المحلق بن بكر بن وائل[١٤] ، وسلسلة من بنى ملك بن هزيم الجعفى[١٥] ، وبنو عبدالخيار ـ وبنو مالك من أياد [١٥] أ .

وكانت الحيرة مشهورة بخماراتها[١٦] ، حيث كان يؤمها كثير من أهل الكوفة متحررين من قيود الوقار التى يفرضها عليهم بقاؤهم فى الكوفة ؛ كما زارها عدد من خلفاء بنى العباس « لطيب هوائها وصفاء جوها وصحة تربتها وصلابتها ، غير انها بدأت تنحط تدريجيا ، حتى انها كانت فى زمن المعتضد خرابا »[١٧] .

وفى الحيرة عدة اديرة منها دير هند الصغرى ، وقد بنته هند بنت النعمان « وترهبت فيه وسكنته دهرا طويلا ثم عميت ، وهذا الدير من أعظم ديارات الحيرة واعمرها وهو بين الخندق وحضرا (صحراء ؟) بكر ، ولما قدم الحجاج الكوفة سنة ٧٤ قيل له ان بين الحيرة والكوفة ديرا لهند بنت النعمان ..»[١٨] ، ولما ولى بشر بن مروان امارة الكوفة « شق له نهرا من الفرات ، ولم يزل النهر يجرى حتى خرب الدير»[١٩]

(١٠) ابن الكلبى ص ٤٥٠ .
(١١) ابن الكلبى ص ١٣٩ ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٧٧ طبعة عبدالسلام هارون .
(١٢) ابن الكلبى ص ١٤١ .
(١٣) ابن الكلبى ص ١٥٦ .
(١٤) ابن الكلبى ص ٢١٩ .
(١٥) ابن الكلبى ص ٢١٨ .
(١٥أ) البلاذرى . انساب الاشراف ج ١ ص ٢٧ ـ ٨ .
(١٦) الاصفهانى : كتاب الاغانى ج ١١ ص ٢٥٤ ـ ٢٧١ طبعة دار الكتب .
(١٧) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ١٠٤ الاصطخرى ص ٨٢ .
(١٨) الشابشتى ص ١٥٧ الاغانى ج ٢ ص ١٣٥ .
(١٩) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ج ١ ص ٣٢٣ .

ويروى البكرى ان « هذا الدير يقارب بنى عبدالله بن دارم بالكوفة مما يلى الخندق ، فى موضع نزه »[٢٠] .

اما دير هند الكبرى فهو غير الدير السابق ، وهو على طف النجف[٢١] . وعند هذا الدير دير اللج[٢٢] الذى بناه النعمان ابو قابوس ، « ولم يكن فى ديارات الحيرة احسن بناءا منه ولا انزه موضعا »[٢٣] .

ومن اديرة الحيرة دير ابن مزعوق « وهذا الدير فى وسطها ، وهو دير كثير الرهبان حسن العمارة احد المتنزهات المقصودة والاماكن الموصوفة [٢٤] ، وبالقرب من هذا الدير مائلا نحو الشمال يقع دير الحريق »[٢٥] .

ومن الاديرة التى بظاهر الكوفة دير عبدالمسيح بن بقيلة الغسانى « وهو بظاهر الحيرة بموضع يقال له الجرعة .. وخرب الدير بعد مدة فظهر فيه ازج معقود من حجارة »[٢٦] وهو يسمى أيضا دير الجرعة .[٢٧] اما الجرعة فيذكر ابن سعد انها بين الكوفة والحيرة[٢٨] ، ويذكر ياقوت انها بين النجفة والحيرة [٢٩] ويمكن التوفيق بين الروايتين بالقول ان الجرعة

(٢٠) البكرى ص ٦٠٥ .
(٢١) البكرى ص ٦٠٧ .
(٢٢) البكرى ص ١١٩٦ .
(٢٣) البكرى ص ٥٩٥ الاغانى ج ١١ ص ٣٦٥ ياقوت ج ٢ ص ٦٩١ .
(٢٤) الشابشتى ص ١٤٨ . مسالك الابصار ص ٣١٥ ياقوت ج ٢ ص ٧٠١ .
(٢٥) مسالك الابصار ص ٣١٦ ياقوت ج ٢ ص ٦٥٤ .
(٢٦) ياقوت ج ٢ ص ٢٧٧ .
(٢٧) ياقوت ج ٢ ص ٦٥١ .
(٢٨) كتاب الطبقات ج ٥ ص ٢٢ .
(٢٩) ياقوت ج ٢ ص ٦٢ ويذكر ان منظور ان « الجرعه اسم موضع بالكوفة كان فيه فتنة فى زمن عثمان بن عفان » (لسان العرب ج ٩ ص ٣٩٧) .

بين الكوفة والحيرة والنجف ، أى انها فى شمال غربى الكوفة .

ومن ابرز ما فى الحيرة قصور يجمل الشابشتى موقعها بنص يذكره عن ابنية المناذرة حيث يقول « ومن هذه الابنية المسقطات ، وهو قصر فيه ازاج مستطيلة مسقطة شرقى الحيرة على طريق الحاج ؛ ثم القصر ؛ ثم كرة البقال ؛ ثم قصر العدسيين ؛ ثم الاقصى (القصر !) الابيض ؛ ثم بنى بقيلة وكان هذا القصر لعبدالمسيح بن بقيلة الغسانى .. ومن بعده دار عون ، ثم فيه عصر (؟) مما يلى النجف ، فهذه قصور الحيرة الباقية الآن[٣٠] .

لقد تردد ذكر هذه القصور فى اخبار الفتوح الاسلامية ، فيروى ياقوت ان قصر العدسيين « كان بالكوفة فى طرف الحيرة لبنى عمار بن عبد المسيح بن قيس بن حرملة»[٣١] ؛ ولما حاصرت قوات خالد بن الوليد قصور الحيرة فى خلافة ابى بكر « كان ضرار بن الخطاب محاصرا قصر العدسيين ، وفيه عدس بن عدس المقتول »[٣٢] ، وقد نزل المستورد بن علفة « فنزل دارا بالحيرة الى جنب قصر العدسيين من كلب»[٣٣] .

وقصر العدسيين فهو لبقيلة[٣٤] .

أما القصر الابيض فهو من قصور الحيرة[٣٥] ، ولما تقدم خالد لحصار الحيرة « تحصن اهلها فى القصر الابيض وقصر ابن بقيلة وقصر العدسيين»[٣٦] ويذكر الاصبهانى انه « كان لجابر بن شمعون

---

(٣٠) الشابشتى ص ١٥٤ ــ ١٥٥ .

(٣١) ياقوت ج ٤ ص ١١٦ ، ويبدو انه أخذ روايته من ابن الكلبى الذى يذكر ان « لهم قصر العدسيين » (النسب ص ٤٢٤ مخطوطة الاسكوريال .

(٣٢)طبرى I ٢٠٣٩ .

(٣٣) طبرى II ٢٩ .

(٣٤) ابن الكلبى . النسب ص ٣٢٣ مخطوطة الاسكوريال . ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٨٥ (طبعة عبدالسلام هارون) .

(٣٥) ياقوت ج ٤ ص ١٠٦ .

(٣٦) فتوح البلدان ص ٢٤٤ انظر أيضا انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٣٢ .

الاسقف »[٣٧] ، كما يذكر ياقوت ان هذا القصر « هو أبيض النعمان قصر كان له بالحيرة »[٣٨] اما ابن الفقيه فيقول عنه انه « في طرف الحيرة لبنى عمار بن عبدالمسيح »[٣٩] • ويذكر الطبرى ان رستم عسكر « بين الغريين والقصر الابيض »[٤٠] ومعنى هذا ان القصر الابيض قرب الغريين فى جهة النجف •

وقد ذكر من قصور الحيرة ايضا قصر بنى مازن[٤١] وقصر الطين[٤٢] •

ومن قصورها ايضا قصر الفرس « حكى الاديبى ان قصر الفرس احد قصور الحيرة الاربعة »[٤٣] •

والزوراء « وهى دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة هدمها ابو جعفر المنصور »[٤٤] وعمير اللصوص « وكان مقابل الحيرة »[٤٥] •

وفى الحيرة أيضا « قبة الشنيق وهى من الابنية القديمة بالحيرة على طريق الحاج ، وبازائها قباب يقال لها الشكورة ، جميعها للنصارى »[٤٦] •

تذكر المصادر عدداً غير قليل من الاديرة فى منطقة الحيرة دون أن تحدد مواقعها بالضبط ، ومن هذه الاديرة دير علقمة[٤٧] ، ولعله هو دير حنظله الذى يروى ابو الفرج الاصبهانى انه « من ديارات بنى

(٣٧) الاغانى ج ٢ ص ١١٥ •
(٣٨) ياقوت ج ٤ ص ٣٥٣ •
(٣٩) مختصر كتاب البلدان ص ١٨٣ •
(٤٠) طبرى I ٢٠٣٩ •
(٤١) طبرى I ص ٢٠٣٩ •
(٤٢) ياقوت ج ٣ ص ٥٧١ ج ٤ ص ١١٤ •
(٤٣) ياقوت ج ٣ ص ٨٧٤ ج ٤ ص ١٠٨ •
(٤٤) ابن قتيبة : المعانى الكبير ج ١ ص ٤٦٥ البكرى ص ٧٠٤ ياقوت ج ٢ ص ٩٥٥ لسان العرب ج ٥ ص ٤٢٧ ــ ٨ •
(٤٥) البكرى ص ١٠٠٤ ياقوت ج ٣ ص ٧٣١ •
(٤٦) الشابشتى ص ١٥٥ مسالك الابصار ص ٣٢٨ •
(٤٧) ياقوت ج ٢ ص ٦٨١ •

علقمة »[٤٨] .

ومن هذه الاديرة دير السوا « اى العدل لانهم كانوا يتحالفون عنده ، فيتناصفون ، وقال الكلبى هو منسوب الى رجل من اياد ، وقيل هو منسوب الى بنى حذاقة ، وقيل السوا امرأة منهم ، وقيل السوا ارض نسب الدير اليها[٤٩] .

وكذلك الاكيراح فيقول ياقوت « روى ابو سعيد السكرى عن ابى جعفر احمد بن الهيثم البجلى « رأيت الاكيراح وهو على سبعة فراسخ من الحيرة مما يلى مغرب الشمس من الحيرة ، وفيه ديارات فيها عيون وآبار محفورة يدخلها الماء ، وروى الخالدين ان الاكيراح رستاق نزه بأرض الكوفة .. بالقرب منها ديران يقال لأحدهما دير مر عبدا ، وللآخر دير حنة ، وهو موضع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياض »[٥٠] .

فاما دير عبدا فهو « ينسب الى مر عبدا ابن حنيف بن وضاح اللحيانى كان مع ملوك الحيرة ، وهو دير ابن وضاح »[٥١] ويسميه الاصبهانى دير الاكيراح[٥٢] .

اما دير حنة فهو « دير قديم بالحيرة منذ ايام بنى المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم[٥٣] بنو ساطع ، تقابله منارة عالية كالمرقب تسمى القايم لبنى أوس بن عمرو بن عامر » .

وقد ذكر فى منطقة الحيرة أيضا دير ابن براق[٥٤] .

وعند الحيرة ايضا اماكن لا نستطيع تحديد مواقعها بالضبط مثل[٥٥]

(٤٨) البكرى ص ٥٧٧ انظر أيضا ياقوت ج ٢ ص ٦٥٦ .
(٤٩) فتوح البلدان ص ٢٨٣ ياقوت ج ٢ ص ٦٧٢ .
(٥٠) ياقوت ج ١ ص ٣٤٥ ـ ٦ .
(٥١) ياقوت ج ٢ ص ٦٩٩ .
(٥٢) البكرى ص ٥٧٩ .
(٥٣) البكرى ص ٥٧٨ (عن الاصبهانى) .
(٥٤) ياقوت ج ٢ ص ٦٤٠ .
(٥٥) ياقوت ج ٤ ص ٦٤٣ .

الباغوث [٥٦] ، وقلاية القس [٥٧] ، والفروط [٥٨] ، وبين « وهى موضع قريب من الحيرة » [٥٩] ؛ وكانت فى طرف السواد من ناحية الحيرة [٦٠] ، وجفر الاملاك « وهو موضع دير بنى مرينا » [٦١] ؛ وانقره « وهى موضع بنواحى الحيرة [٦٢] ، والجرف « كانت به منازل المنذر [٦٣] .



(٥٦) البكرى ص ٢٢١ .
(٥٧) البكرى ص ١٠٩١ .
(٥٨) البكرى ص ١٠٢٣ .
(٥٩) ياقوت ج ١ ص ٤٢٥ .
(٦٠) ياقوت ج ٤ ص ٩٧٩ .
(٦١) ياقوت ج ٢ ص ٦٥٦ ـ ٧ .
(٦٢) ياقوت ج ١ ص ٣٩١ .
(٦٣) ياقوت ج ٢ ص ٦٣ .

الخورنق والسدير وقصر ابى الخصيب :

الخورنق قصر كان بظهر الحيرة[١] ، « بقرب منها مما يلى الشرق على نحو ميل[٢] ، وهو مقابل الفرات يدور عليه على عاقول كالخندق[٣] » ، وهو كما نعلم يرجع الى عهد المناذرة[٤] ، وقد اضيفت اليه فى العصر الاسلامى عدة اضافات « فلم يقدم احد من الولاة السكوفة الا واحدث فى قصرها المعروف بالخورنق شيئا من الابنية ، فلما قدم الضحاك بن قيس بنى فيه مواضع وبيضه وتنقده »[٥] . فلما ظهرت الدولة العباسية « أقطع الخورنق ابراهيم بن سلمه أحد الدعاة بخراسان .. وابراهيم أحدث قبة الخورنق فى خلافة ابى العباس ولم تكن قبل ذلك »[٦] ، وقد تردد ذكر الخورنق فى الشعر العربى[٧] .

وقد تردد ذكر الخورنق فى احداث الفتوح الاسلامية ، فلما اصاب « خالد ابن الازادبه على فم فرات بادقلى قصد للحيرة واستلحق اصحابه وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف فقدم خالد الخورنق .. ثم خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع الازاد به بين الغريين والقصر الابيض »[٨] ، « وقال خذوا على الجوف ، فسلكوا القادسية والجوف ، وسلك المثنى وسط السواد فطلع على النهرين ثم على الخورنق ، وطلع عصمة على النجف ومن سلك معه طريقه وطلع جرير على الجوف فانتهوا

---

(١) ياقوت ج ٢ ص ٤٩١ .
(٢) ياقوت ج ٢ ص ٣٧٥ ، ويقول ابن رسته انه على ثلاثة أميال من الحيرة (الاعلاق النفيسة ص ٣٠٩) ولعل اختلاف التقدير راجع الى البدايات التى تقدر منها المسافات .
(٣) ياقوت ج ٢ ص ٤٩٢ .
(٤) انظر فى وصفه كتاب الحيرة ليوسف غنيمة .
(٥) ابن الفقيه ص ١٧٨ ياقوت ج ٢ ص ٤٩٣ عن الهيثم بن عدى . وعن زيادة عبدالملك بن مروان انظر انساب الاشراف ج ٥ ص ٧٥٢ .
(٦) فتوح البلدان ص ٢٨٧ — ٨ .
(٧) انظر طبرى II ١٤٦ ياقوت ج ١ ص ٣٩١ ، ٤٦٣ ج ٢ ص ١٤٦ ، ٤٧٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٠ ، ٧٨٨ .
(٨) طبرى I ص ٢٠٣٨ .

الى المثنى وهو على البويب »[٩] وقد رأينا ان سعدا قال فى وصفه منطقة « وان عن يسار القادسية بحر أخضر لاح الى الحيرة بين طريقين ، فأما احدهما فعلى الظهر ، واما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الخصوص يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة »[١٠] وان رستم خرج « ونزل بحيال دير الاعور ، ثم انصب الى الملطاط فعسكر مما يلى الفرات بحيال الخورنق الى الغريين[١١] .

ومن هذا يتبين ان الخورنق قريب من النجف ، ومن الغريين ، وان منها طريق يربطها بالنهرين وطريق القادسية عن طريق نهر الخصوص .

وتقع انقرة وهى « موضع بظهر الكوفة من الخورنق »[١٢].

ومن الاماكن البارزة قرب الخورنق هو السدير « فى وسط البرية التى بينها (الحيرة) وبين الشام » [١٣] أى انه فى الشمال الغربى من الحيرة ؛ ولا ريب ان اهميته وشهرته اقل من الخورنق بدليل اختلاف المتأخرين فى أخباره . فيروى ياقوت انه « قال العمرانى السدير موضع بالحيرة ، وقال السدير نهر وقيل قصر قريب من الخورنق كان النعمان اتخذه لبعض ملوك العجم » . وقال ابن الفقيه قالوا السدير ما بين نهر الحيرة الى النجف الى كسكر من هذا الجانب »[١٤] ويقول الشابشتى « والسدير قصر عظيم من ابنية ملوك لخم فى قديم الزمان ، وما بقى الان منه فهو ديارات وبيع للنصارى »[١٥] .

ويقول ابن منظور « السدير بناء هو بالفارسية سهدلى أى ثلاث شعب أو ثلاث مداخلات ، وقال الاصمعى السدير فارسية ، كأن أصله سادل أى قبة فى ثلاث قباب متداخلة وهى التى يسميها الناس اليوم سدلى فاعربته العرب

(٩) طبرى I ص ٢١٨٤ .
(١٠) طبرى I ٢٢٣٠ .
(١١) طبرى I ٢٢٥٥ .
(١٢) البكرى ص ٢٠٣ .
(١٣) ياقوت ج ٢ ص ٢٧٥ .
(١٤) ياقوت ج ٣ ص ٦٠ _ ٦١ .
(١٥) الشابشتى ص ١٥٢ .

فقالوا سدير ، والسدير النهر وقد غلب على بعض الانهار .. التهذيب السدير نهر بالحيرة .. والسدير النهر ويقال قصر وهو معرب واصله بالفارسية سه‌دله أى فيه قباب متداخلة مثل الحارى بكمين »[١٦] .

اما قصر ابى الخصيب فهو « بظاهر الكوفة قريب من السدير ، بينه وبين السدير ديارات الاساقف ، وهو أحد المتنزهات يشرف على النجف وعلى ذلك الظهر كله يصعد من اسفله فى خمسين درجة الى سطح آخر افيح فى غاية الحسن ، وهو عجيب الصنعة »[١٧] « وبنى المنصور بالكوفة الرصافة وأمر أبا الخصيب مرزوقا مولاه فبنى له القصر المعروف بأبى الخصيب على اساس قديم ، ويقال ان ابا الخصيب بناه لنفسه ، فكان المنصور يزوره فيه »[١٨] .

وقد ذكر على بن محمد العلوى الحمانى بعض الاماكن القريبة من قصر أبى الخصيب بقوله :

سقيا لمنزلة وطيب   بين الخورنق والكثيب
بمدافع الجرعات من   اكناف قصر ابى الخصيب
دار تخيرها الملوك   فهتكت رأس اللبيب[١٩]

وبين قصر أبى الخصيب والسدير تقع ديارات الاساقف[٢٠] « وهذه الديارات بالنجف ظاهر الكوفة وهو اول الحيرة ، وهى قباب وقصور بحضرتها نهر يعرف بالغدير (السدير ؟) ، عن يمنه قصر أبى الخصيب وعن شماله السدير »[٢١] .

وبالقرب من هذا القصر ايضا دير مارت مريم وهو « دير قديم من بناء آل المنذر بنواحى الحيرة بين الخورنق والسدير وبين قصر ابى الخصيب مشرف على النجف »[٢٢] .

---

(١٦) لسان العرب ج ٦ ص ١٩ ـ ٢٠ .
(١٧) الشابشتى ص ١٥٢ ياقوت ج ٤ ص ١٠٧ .
(١٨) فتوح البلدان ص ٢٨٧ . ابن الفقيه ص ١٨٤ .
(١٩) ياقوت ج ٢ ص ٤٩٣ .
(٢٠) الشابشتى ص ١٥٢ ياقوت ج ٤ ص ١٠٧ .
(٢١) الشابشتى ص ١٥٢ ياقوت ج ٢ ص ٦٤٢ .
(٢٢) البكرى ص ٥٩٧ ياقوت ج ٢ ص ٦٩٢ .

النجف والهاشمية :

لقد لاحظنا انه بقرب الخورنق كانت النجف « وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها » [1] وكان يقال لظهر الكوفة اللسان[2] ، « واللسان لسان البر الذى ادلعه فى الريف وعليه الكوفة اليوم والحيرة قبل اليوم »[3] « وهو فيما بين النهرين الى العين عين بنى الحذاء ، كانت العرب تقول ادلع البر لسانه فى الريف ، فما كان يلى الفرات منه فهو الملطاط ، وما كان يلى الطين منه فهو النجاف »[4]

وكان الظهر « يدعى خد العذراء ينبت الخزامى والاقحوان والشيح والقيصوم والشقاق »[5] و « كان الناس يدفنون موتاهم بالكوفة فى جبابينهم فلما ثقل خباب قال لى أى بنى اذا انا مت فادفنى بهذا الظهر ، فانك لو قد دفنتنى بالظهر قيل دفن بالظهر رجل من اصحاب رسول الله ص ، فدفن الناس موتاهم ، فلما مات خباب رحمه الله دفن بالظهر فكان اول مدفون بظهر الكوفة خباب »[6] . ثم « ان عمرو بن عتبة ومعضد بن يزيد العجلى بنيا مسجدا بظهر الكوفة فاتاهم ابن مسعود فقال جئت لاكسر مسجد الخبال »[7] .

لقد تردد ذكر النجف فى احداث الفتوح الاسلامية الاولى ، و« لما اصاب خالد ابن الازادبه على فم فرات بادقلى قصد للحيرة واستلحق اصحابه وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف فقدم خالد الخورنق .. وكان

---

(١) ياقوت ج ٤ ص ٧٦٠ .
(٢) طبرى I ص ٢٤٨٥ ياقوت ج ٤ ص ٦٣٣ .
(٣) طبرى I ٢٤١٩ .
(٤) طبرى I ص ٢٤٨٥ ياقوت ج ٤ ص ٣٥٥ .
(٥) فتوح البلدان ص ٢٧٧ .
(٦) ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١١٨ .
(٧) ابن سعد ج ٦ ص ١٤٤ .

عسكره بين الغريين والقصر الابيض »[٨] ثم ان المثنى « قال خذوا على الجوف ، فسلكوا القادسية والجوف ، وسلك المثنى وسط السواد فطلع على ا لنهرين ثم على الخورنق وطلع عصمة على النجف ومن سلك معه طريقه »[٩] . ولما تقدم رستم الى القادسية « نزل بحيال دير الاعور ثم انصب الى الملطاط فعسكر مما يلي الفرات بحيال اهل النجف بحيال الخورنق الى الغريين »[١٠] ، ثم « أمر الجالنوس أن يسير من النجف فسار في المقدمات فنزل فيما بين النجف والسيلحين ، وارتحل رستم فنزل النجف »[١١] ، « وراى رستم ان ينزل بين العتيق والنجف »[١٢] ، « فاذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذي الحاجب ، فارتحل الجالنوس، فنزل ذو الحاجب منزله والجالنوس يريد طيزناباد فنزل بها »[١٣] ، « وقتلوا ما بين الخرارة الى السيلحين الى النجف »[١٤] .

وهناك اشارات الى النجف في العصر الاموي[١٥] .

وقد ورد وصفها ومدحها في قصيدة لاسحق بن ابراهيم الموصلي يمدح بها الواثق[١٦] .

تشير بعض المصادر الى ان النجف كانت فيها دومة : فيروى البكري ان « دومة الكوفة هي النجف بعينها »[١٧] ، ويقول ياقوت ان « دوما

---

(٨) طبري I ص ٢٠٣٨ .

(٩) طبري I ص ٢١٨٤ .

(١٠) طبري I ص ٢٢٥٥ .

(١١) طبري I ص ٢٢٥٦ .

(١٢) طبري I ص ٢٢٥٧ .

(١٣) طبري I ص ٢٢٦٤ .

(١٤) طبري I ص ٢٣٣٩ .

(١٥) انظر طبري II ص ٧٤٦ ، ١٦٥٣ وكيع : اخبار القضاة ج ٢ ص ٢٦٧ البكري ص ١٢٩٩ .

(١٦) اغاني ج ٩ ص ٢٨٩ ياقوت ج ٤ ص ٧٦٠ .

(١٧) البكري ص ٥٦٦ .

بالكوفة والنجف محلة منها ، ويقال اسمها دومة لان عمر لما اجلا اكيدر صاحب دومة الجندل قدم الحيرة فبنى بها حصنا وسماه دومة ايضا »[١٨] .

ولدينا عن دومة التي في هذه المنطقة اخبار من مصادر اخرى فيروى البلاذري عن هشام بن الكلبي عن أبيه « وجه رسول الله (ص) خالد بن الوليد الى اكيدر فقدم به عليه فاسلم ، فكتب له كتابا ، فلما قبض النبي(ص) منع الصدقة ونقض العهد وخرج من دومة الجندل فلحق بالحيرة وابتنى بها بناءا سماه دومة بدومة الجندل » ويقول بعد ان يورد روايات عن عوانه بن الحكم وعن الواقدي في توجيه خالد الى اكيدر « وسمعت بعض اهل الحيرة يذكر أن اكيدر واخوته كانوا ينزلون دومة الحيرة ، وكانوا يزورون اخوالهم من كلب فيتغربون عندهم ، فانهم لمعهم وقد خرجوا للصيد اذ رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق الا بعض حيطانها وكانت مبنية بالجندل ، فاعادوا بناءها وغرسوا فيها الزيتون وغيره وسموها دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة »[١٩] .

ويبين هذا النص ان دومة الحيرة اقدم من دومة الجندل ، وانها القاعدة القديمة لاكيدر . ومهما كانت صحة هذه التفاصيل ، فالثابت فيها وجود دومة بالحيرة ، كانت معروفة .

ويذكر ابن الكلبي ان « اكيدر وبشر وحريث بنو عبدالملك بن عبد الحي بن اعيابن الحرث بن معاوية بن حلاوة بن ايامه بن شكامة صاحب دومة الجندل كان رسول الله (ص) صالحه على شيء يؤديه اليه ففعل ، فلما قبض رسول الله (ص) منع ذلك ابا بكر ، فاخرج من جزيرة العرب من دومة ولحق بالجزيرة وابتنا بها بناءا وسماه دومة بدومة الجندل »[٢٠].

ان المعلومات المذكورة في المصادر الآنفة الذكر تحملنا على الاعتقاد بأن كلمة (الجزيرة) هي من خطأ الناسخ وحقيقتها (الحيرة) . أما ذكر

---

(١٨) ياقوت ج ٢ ص ٦٢٤ ، ويذكر ياقوت في ص ٦٢٦ من نفس الجزء عن السكوني ان اكيدر اجلاه عمره الى الحيره « فنزل في موضع منها قرب عين التمر وبنى بها منازل وسماها دومه وقيل دوماء باسم حصنه بوادي القرى فهو قائم يعرف الا انه خراب » .

(٢٠) كتاب النسب ص ١٢٦ مخطوطة الاسكوريال .

بعض المصادر كون دومة في الحيرة ، وذكر اخرى انها بالنجف فيرجع الى ان النجف متصلة بالحيرة ، وقد يدل على ان دومة بينهما .

وبظاهر النجف يقع الغريين[٢١] ، وقد أشار الطبري الى هذا المكان في النصوص التي أوردناها أعلاه ، ويروى ابن منظور « .. قال أبو سعيد : الغرى نصب كان يذبح عليه النسك وكل بناء حسن غرى ، والغريان المشهوران بالكوفة منه .. وقال ابن برى .. وهما بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمة الابرش وسميا الغريين لان النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله يوم بؤسه »[٢٢] وفي أسفل النجف دير فاثيون[٢٣] وعلى طرفها دير هند الكبرى[٢٤] .

لقد ذكرنا ان « ظهر الكوفة يقال له اللسان .. فما كان يلي الفرات منه فهو الملطاط وما كان يلي الطين منهو فهو النجاف»[٢٥] ويروى البلاذري عن شيخ من الكوفيين« ان ما بين الكوفة والحيرة كان يسمى الملطاط»[٢٦] .

وكانت تقع فيه شوميا اذ لما عبر مهران « فنزل على شاطىء الفرات معهم في الملطاط فقال المثنى لذلك الرجل ما يقال لهذه الرقعة التي نزل مهران وعسكره قال شوميا »[٢٧] ويبدو انه كان يمتلكه آل كسرى «لوددت ان هذا الملطاط لك يعني ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة »[٢٨] .

لقد بنى المنصور بظهر الكوفة مدينة سماها الرصافة[٢٩] ، ونزلها

---

(٢١) ياقوت ج ٣ ص ٧٩٢ .
(٢٢) لسان العرب ج ١٩ ص ٣٥٨ ويقول ابن قتيبه « الغريبين وهما طربالان يغريهما (النعمان) بدم من يقتل اذا ركب يوم بؤسه » المعارف ص ٦٤٩ طبعة ثروت عكاشه .
(٢٣) ياقوت ج ٢ ص ٦٩٣ .
(٢٤) ياقوت ج ٢ ص ٧٠٩ .
(٢٥) طبرى I ص ٢٤٨٥ ابن قتيبه : المعارف ص ٢٤٦ ياقوت ج ٤ ص ٦٣٣ .
(٢٦) فتوح البلدان ص ٢٣ .
(٢٧) طبرى I ص ٢١٨٥ .
(٢٨) طبرى I ص ٢٩٠٨ .
(٢٩) فتوح البلدان ص ٢٨٧ طبرى III ص ٢٧١ ، ٢٩٣ ياقوت ج ٢ ص ٧٨٧ – ٨ .

عدة مرات[٣٠]، غير اننا لا نعلم موقع هذه المدينة بالضبط .

يذكر البلاذري « حدثني ابو مسعود وغيره قالوا : كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شيء يسير لم يستتم، فاتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاوره اهل الكوفة فتركها، وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا .

فلما ظهر أمير المؤمنين أبو العباس نزل تلك المدينة واستتم مقاصير فيها واحدث فيها بناءا وسماها الهاشمية، فكان الناس ينسبونها الى ابن هبيرة على العادة، فقال ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها وبنى بحيالها المدينة الهاشمية ثم اختار نزول الانبار فبنى بها مدينته المعروفة، فلما توفى دفن بها، واستخلف ابو جعفر المنصور فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة، واستتم شيئا كان بقى منها، وزاد فيها بناءا وهيأها على ما اراد ثم تحـول منها الى بغداد .. وبالهاشمية حبس المنصور عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبى طالب بسبب ابنيه محمد وابراهيم وبها قبره »[٣١] .

ويتبين من هذا النص :

١ ـ ان ابن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات، وهى غير قصر ابن هبيرة المشهورة والتى هى على جسر سورا، وانه نزلها مدة قصيرة من قبل أن تتم، ثم تركها لاسباب ادارية .

٢ ـ ان السفاح اكملها وسماها الهاشمية ولكن تسميته لم تعم بين الناس .

٣ ـ ان السفاح بنى بقرب هذه المدينة مدينة أخرى سماها الهاشمية ونزل فيها امدا .

٤ ـ ان المنصور نزلها واكملها وزاد فى بناءها قبل ان يتحول الى بغداد .

٥ ـ ان فيها دفن عبدالله بن حسن .

ويقول الطبرى « ان ابا جعفر المنصور بنى فيما ذكر حين افضى الامر اليه الهاشمية قبالة مدينة ابن هبيرة بينهما عرض الطريق، وكانت مدينـة ابن هبيرة التى بحيالها مدينة ابى جعفر الهاشمية، الى جانب الكوفة . وبنى

(٣٠) طبرى III ص ٢٩٤، ٣٣٥، ٣٨٣، ٤٤٥ .
(٣١) فتوح البلدان ص ٢٨٦ ياقوت ج ٤ ص ١٢٣، ٩٤٦ .

المنصور ايضا مدينة بظهر الكوفة سماها الرصافة • فلما ثارت الراوندية بابى جعفر فى مدينته التى تسمى الهاشمية ، وهى التى بحيال مدينة ابن هبيرة ، كره سكناها لاضطراب من اضطرب امره عليه من الراوندية ، مع قرب جواره من الكوفة ، ولم يأمن اهلها على نفسه فاراد ان يبعد من جوارهم »[٣٢] ••

ويختلف نص الطبرى عن البلاذرى من حيث انه ينسب بناء الهاشمية الى المنصور ولكن الراجح ان البلاذرى ادق ، لان الطبرى نفسه يذكر فى مواضع أخرى نزول السفاح بها ، ودفن ابى اسلمه فيها ، مما يؤيد انها موجودة زمن السفاح • ثم ان نص الطبرى :

١ ـ يميز بين الهاشمية والرصافة ؛ فالاولى بحيال مدينة ابن هبيرة والثانية بظهر الكوفة •

٢ ـ ان الهاشمية لا يفصلها عن مدينة ابن هبيرة الا عرض الطريق •

٣ ـ انها الى جانب الكوفة ، فهى اذاً ليست بقرب قصر ابن هبيرة •

٤ ـ انه بقى فيها امدا ، وثار عليه فيها الراوندية •

٥ ـ انه تركها لاسباب ادارية وسياسية •

وقد ذكرت هاشمية الكوفة فى بعض المواضع من تاريخ الطبرى ، فهو يذكر ان السفاح بعد أن بويع له بالخلافة ذهب الى عسكره « وأقام أبو العباس فى العسكر شهرا ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية فى قصر الكوفة »[٣٣] ؛ كما ان أبا جعفر بعد ان زار بيت المقدس والشام سنة ١٤٠هـ عاد الى الرقة ثم انحدر « فسلك الفرات حتى أتى الهاشمية ، هاشمية الكوفة »[٣٤] • كما ان ثورة الراوندية وما رافقها من اضطراب « وكان ذلك كله فى المدينة الهاشمية بالكوفة »[٣٥] ، ويروى عن مسلم الخصى

(٣٢) طبرى III ص ٢٧١ ـ ٢ •

(٣٣) طبرى III ص ٣٧ •

(٣٤) طبرى III ص ١٢٣ انظر أيضا ابن قتيبه • المعارف ص ٣٧٨ طبعة ثروت عكاشه •

(٣٥) طبرى III ص ١٣١ •

مولى محمد بن سليمان قال « كان أمر ابراهيم وانا ابن بضع عشـــرة سنة وانا يومئذ لابى جعفر فانزلنا الهاشمية بالكوفة ونزل هو بالرصافة فى ظهر الـكوفة . وكان جميـع جنـده الذين فى عسـكره نحـوا مـــن ألـف وخمسمائة »(٣٦) .

وقد ذكرت الهاشمية مجردة دون قرنها بالكوفة ، فقد دفن ابو سلمة الخلال فى الهاشمية(٣٧) ، وحبس أبو جعفر بنى الحسن فى **الهاشمية**(٣٨) وان وجود النصـوص السابقة يؤيد ان المقصـود بالهاشمية نفس هاشمية الـكوفة .

يقول ابن رسته ان « الهاشمية بين الكوفة والحيرة »(٣٩) .

أما اليعقوبى فيقول ان المهدى عاد من خراسان سنة **١٤٤** « فخرج أبو جعفر لاستقباله بنهاوند وقدم الى الكوفة فنزل الحيرة والمدينة التى بناهـــا المنصور وسماها الهاشمية »(٤٠) .

---

(٣٦) طبـرى III ص ٢٩٣ انظـر أيضـا ابن قتيبه . **المعـارف** ص ٤٨٠ .

(٣٧) طبرى III ص ٦٠ .

(٣٨) طبرى III ص ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ٢٥٠٨ . أبو الفرج الاصبهانى : مقاتل الطالبيين ص ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٢٦ .

(٣٩) الاعلاق النفيسه ص ٢٣٧ .

(٤٠) اليعقوبى : التاريخ ج ٢ ص ٤٥٠ ومن الجدير بالملاحظة ان اليعقوبى يذكر كثيرا من حوادث السفاح والمنصور فى الحيرة : فقد صلب السفاح اثنين من الامويين فيها (ج ٢ ص ٤١٤) ، و « انتقل أبو العباس من الحيرة فنزل الانبار » (ج ٢ ص ٤٢٩) و « قدم أبو جعفر الكوفة غرة المحرم فنزل الحيرة وصلى بالناس الجمعة ثم شخص الى الانبار » (ج٢ ص٤٣٨) كما قدم عليه سليمان بن على وهو بالحيره (ج ٢ ص ٤٤٢) ولما عاد من الرقه « نزل الحيره » (ج ٢ ص ٤٤٥) .

ونحن نرجح ان اليعقوبى كان يقصد بالحيره الهاشمية ، لان المصادر الاخرى ذكرت بعض هذه الاحداث متصلة بالهاشمية ، وهذا يدل على ان الهاشمية كانت فى الحيرة أو قريبة جدا من الحيره ، وانها اختلطت فيما بعد وزال اسمها بحيث أصبح اليعقوبى يذكر الحيره باعتبارها الاسم الاشهر بعد ان طمس اسم الهاشمية .